

التفسير الموضوعي ودوره في تجديد الخطاب القرآني من خلال بناء الفهم المتكامل للقرآن الكريم

محمد عيشوبة¹

¹ جامعة عمار ثلجي بالأغواط ، الجزائر

m.aichouba@lagh-univ.dz

استلم: 2026-07-16، مقبول: 2026-07-21، نشر: 2026-07-29

Thematic interpretation and its role in renewing Qur'anic discourse through building an integrated understanding of the Holy Qur'an

ABSTRACT: *This research highlights the importance of thematic interpretation in contemporary studies as one of the interpretive approaches that offers intellectual, social, and reflective solutions to people's realities. Its effectiveness lies in compiling verses related to a single topic and studying them holistically. Therefore, the aim is to demonstrate the role of thematic interpretation in renewing Qur'anic discourse through this comprehensive conceptual vision, which contributes to a balanced and holistic understanding of the Holy Qur'an in accordance with its overarching objectives.*

The research concludes that thematic interpretation is an effective tool for renewing Qur'anic discourse by connecting texts to reality according to these methodological principles, moving beyond fragmented interpretations towards a more comprehensive and coherent understanding.

KEYWORDS: *Thematic interpretation, renewal, discourse, reality, holistic vision, concept*

الملخص: هذا البحث يبرز أهمية التفسير الموضوعي في الدراسات المعاصرة باعتباره أحد المناهج التفسيرية التي توجد حلولاً فكرية واجتماعية وتدبرية في واقع الناس، حيث ترتكز فاعليته حول جمع الآيات للموضوع الواحد ودراسة متكاملة، ولذا كانت الغاية هو إبراز دور التفسير الموضوعي في تجديد الخطاب القرآني من خلال تلك الرؤية المفاهيمية الشاملة، التي تساهم في تقديم فهم متوازن وشامل للقرآن الكريم بما يتناسب مع مقاصد الكلية ويخلص البحث إلى أن التفسير الموضوعي يعتبر أداة فعالة في تجديد الخطاب القرآني عن طريق ربط النصوص بالواقع وفقاً لتلك الأسس المنهجية، وتجاوز التفسير التجزيئي نحو فهم أكثر شمولاً واتساقاً.

الكلمات المفتاحية: التفسير الموضوعي ، التجديد، الخطاب، الواقع، الرؤية الكلية، المفهوم .

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب هدى وذكرى لأولي الألباب، والصلاة والسلام على محمد صلى الله عليه وسلم سيد الأصفياء وخاتم الأنبياء وعلى آله وصحبه الأطهار الأتقياء، أما بعد:

فإن القرآن الكريم هو مستمسك الأمة في وحدتها، وموقفها من غفلتها، متى ما أحسنت النظر في معانيه، وأقامت أوامره ونواهيه، وهو الذي ارتقى بها من حظوظ شهوات النفس الفردية البهيمية التي تفكر في العيش بكل طريق، إلى الفكر الحضاري، الذي به تسود وتقود الأمم.

إن النظرة الشاملة للقرآن الكريم تعطي تصورا متكاملا للقضايا والمسائل البحثية التي تقدم حلولاً للامة في واقعنا اليوم والتي سعى النبي صلى الله عليه وسلم لبيانها قولاً وعملاً وحثاً للصحابة من جهة تدبر القرآن الكريم، وهذه الحلول ليس شرطاً أن تكون حسية بل من حيث الفهم والتفكير، يأخذ بها العالم والفقير والمفكر والمتدبر، وهذا هو عين التدبر الأمثل للقرآن الكريم في أعلى مراتبه، والذي نجده في منهج بحثي تفسيري قديم حديث وهو التفسير الموضوعي، الذي يتخذ من هذا المنهج والنظر الكلي في القرآن الكريم ويعطي المتدبر صورة تتجاوز النظر الجزئي، والاجتزاء للدليل الواحد، ونحن بحاجة اليوم إلى مثل هذا في بحوثنا.

الإشكالية التي أسعى لحلها وهي: كيف نستثمر التفسير الموضوعي في تجديد النظرة الشمولية والرؤية الكلية للمفاهيم في الخطاب القرآني؟

ونسعى لتحقيق بعض الأهداف منها:

- أولاً: الوقوف على أهمية التجديد في منهج النظر في القرآن الكريم لتحقيق البعد الحضاري.
- ثانياً: بيان خطورة الفهم بطريق الاجتزاء للنصوص مما يضعف التصور الأمثل لمختلف الموضوعات والقضايا التي نبحثها.
- ثالثاً: بيان حقيقة التفسير الموضوعي في إيجاد الحلول الواقعية تطبيقاً من حيث الفهم والكشف عن تلك الرؤية المتكاملة في القرآن الكريم.

المطلب الأول: بيان مفاهيم المصطلحات

وننقصد بذلك تفكيك مصطلحات العنوان المبحوث فيه، قصد الوقوف على حقيقة ما تحمله من معاني، تؤثر على بعض الحقائق التي تبني عليها، وقد تكون هذه الحقائق متداخلة أو مشتركة في الدلالة على أحكام ومعاني شرعية لا يحق إصدارها وتقديرها إلا ببيان حقيقة هذه المصطلحات في عرف البحث العلمي أولاً، كالتفسير أو مصطلح التجديد الذي هو مصطلح يحمل معاني متواطئة على عرف أهل المنطق ومصطلحهم، لأن كثيراً من يستعمل هذا المصطلح للوصول إلى غاية ومقصود يسعى له، فإذا لم يضبطه من حيث المفهوم الذي يريده فيوقع نفسه في الحكم على ما قاله متحملاً ذلك، لأن بيان الحدود والمفاهيم والتعريفات له مقصد في العلوم الشرعية ومنها الضبط والتحديد والإلزام.

أولاً: التفسير الموضوعي:

هذا المركب الوصفي من جهة مفهومه يكون الغموض في المركب الثاني وهو اوصف بالموضوعي، لأن مصطلح التفسير مشهور في عرف أهل التفسير وعلوم القرآن، ولن نتعرض له بالتعريف، أما التقييد بالوصف وهو الموضوعي فكثير ما يقع فيه غموض من جهة استعماله، ولذا نقول إن الموضوعي ليست من الموضوعية التي تعني الحياد والإنصاف والواقعية، وإنما من الموضوع الذي هو موضوع يبحث في القرآن الكريم، وهو يشبه القضية أو المسألة، ويضم جميع أقسام التفسير الموضوعي وهو المفردة والسورة والموضوع

وقد أشرت إلى كلمة الموضوع لأدلل على وحدة الفهم، فالموضوع الواحد الذي نبحث فيه هو مضبوط من خلال المفهوم الذي يعطيه القرآن الكريم، بنظرة متكاملة، صحيح قد تختلف جهة النظر من قبل الباحثين، لكن الأصل أن القرآن الكريم يعطي صورة متكاملة من حيث المفهوم، فإذا حصل الخلل، أرجعناه إلى الباحث وليس للقرآن وهذه مسألة محسومة الأمر

لكن هذا جزء من التفسير كقسم من أقسامه وما صدق على الموضوع يصدق على بقية الأقسام الأخرى، وهي تدخل ضمن التجديد للخطاب الذي نقصده من جهة الفهم المتكامل، فالمصطلح القرآني مثلاً يحتاج إلى ضبط في المفهوم، وهو مؤثر في النظرة الشمولية المتكاملة، ولذلك ألفت مؤلفات في المفردة القرآنية وسنبين ذلك في المطلب المخصص.

وللتقريب عرف الموضوع القرآني بأنه «أن تُجَمَّع الآيات القرآنية في الموضوع الواحد، وقد تكون هذه الآيات مكية وقد تكون مدنية» (عباس 2016، 646).

إذن التفسير الموضوعي كعلم يمكن تعريفه بأنه: "«هو علم يبحث في قضايا القرآن الكريم، المتحدة معنى أو غاية، عن طريق جمع آياتها المتفرقة، والنظر فيها، على هيئة مخصوصة، بشروط مخصوصة لبيان معناها، واستخراج عناصرها، وربطها برباط جامع - وقيل: هو علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر..» (مسلم 2005، 16)

. ثانيا : مصطلح التجديد:

هذا المصطلح هو مصطلح نبوي فهو شرعي بمعنى أنه ورد في السنة، غير أن الإشكال لا يكمن فيه، بل في مفهومه، ثم في استعماله، ثم في الحمل من جهة المخاطب، لأن الاستعمال اللغوي والاستعمال الشرعي أو الاستعمال المصطلحي له تأثير كبير في توظيف هذا المصطلح في شتى العلوم الشرعية، أو في الفهم، أو في تنزيل النص القرآني على الواقع اليوم، لأن من تعامل مع هذا المصطلح انطلق من فكرة يريد أن يصل إليها فاتخذ المصطلح ذريعة لتحقيق غرضه، ومنها تجديد التفسير مثلا، أو تجديد الخطاب، أو تجديد التكليف للمسائل وفق الواقع المعاصر وما يستجد فيه من نوازل مختلفة في شتى المجالات.

في الدلالة اللغوية المعجمية مادة (ج د د)، «(جَدَّ) السَّيُّءُ يَجِدُّ (جَدَّةً) بِكَسْرِ الْجِيمِ فِيهِمَا صَارَ (جَدِيدًا) وَهُوَ نَقِيضُ الْخَلْقِ.» (الرازي 1999، 54)

وفي الحديث الذي أخرجه أبوداود: "«عن أبي هريرة -فيما أعلم- عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله عز وجل يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يُجدِّد لها دينها» (داود 2009، 349)

دلالة هذا الحديث في معنى التجديد لم تخرج عن المعنى اللغوي فيما وقفت عليه عند الأوائل من أهل العلم، وهو ليس الإتيان بالجديد لأن الإتيان بالجديد يقرب من معنى البدعة سواء اللغوية منها أو الاصطلاحية، وهي مسألة شائكة طويلة الذي قليلة الثمر والنيل، فكان بمعنى إعادة الشيء

على ما كان عليه، لما تدرس رسومه وفهمه، ولذلك قال ابن رسلان الرملي الشافعي في شرحه على سنن أبي داود «وفي الحديث إشارة إلى وقوع الفتن والشُرور آخر كل مئة حتى يبلى الدين وتندرس أحكامه، فيظهر الله تعالى لهذه الأمة من يجدد ما بلى منه واندرس.» (رسلان 2016 ، 87)

وابن عاشور قرب هذا المعنى بين اللغوي والمفهوم حيث قال: «وهو هنا مجاز في إيضاح حقيقة الدين وتجريده عما يلصق به من اعتقاد أو عمل أو سيرة، ليس شيء من ذلك في شيء من الدين، في حال أن الناس يتوهمون شيئاً من ذلك ديناً.» (عاشور 2008 ، 114)

إذن فتجديد الخطاب القرآني الذي نعنيه لن يخرج عن هذا المعنى في الحقيقة، لأن الإتيان بالجديد يكون في جهة الفهم والمعنى لكن ليس في المعاني القطعية التي بينها الرسول لأنها لا تقبل التغيير، أما الاحتمالات فتلك لها ضوابطها وشروطها متى توفرت في كل عصر أخذ بها، فتجديد الفهم أي تجديد الصلة بالفهم الصحيح الذي رسم طريقه النبي وأصحابه، حيث كانت المفاهيم القرآنية لا تقتصر على الاجتزاء مثلاً، وغيرها وسنبين حدود التجديد في المطلب المخصص له.

المطلب الثاني: التفسير الموضوعي ووظيفته المعرفية والتجديدية

هذا المنهج من مناهج البحث وألوانه التي لقيت قبولا في الدراسات القرآنية الحديثة، إذ البحوث في التفسير الموضوعي اليوم تتصدر مصاف الإصدارات الجامعية، وهذا له أسبابه، من بينها أن هذا المنهج له تلك الرؤية الشمولية في الآيات والألفاظ والصور القرآنية، فمن حيث التصور يجد الباحث نفسه قد أحاط بالمنظومة الدلالية التي أصل لها القرآن الكريم وفق رؤية مكتملة الجوانب ، شاملة للموضوع المبحوث فيه، من مقاصد وسنن وأحكام وغيرها.

فالتفسير الموضوعي طريقة البحث فيه تعتمد على جمع النصوص المتعلقة بالموضوع الذي يبحث فيه، وهذا معروف في نوعين من أنواعه، غير أن الوحدة الموضوعية التي يكشفها علم المناسبة تعم جميع الأنواع، والغرض من هذا بيان وظيفة هذا المنهج في التفسير من حيث أنه لا يقتصر على جمع النصوص ، وفهمها وتحليلها .

هذا العمل هو ضمن المنهج في نفسه الذي يتبعه الباحث، ولكن إذا أردنا أن نعطي القيمة الحقيقية لهذا المنهج في الواقع، وهي مرحلة من مراحل البحث في التفسير الموضوعي والتي أراها ذات أهمية في تجديد الصلة بالخطاب القرآني وحقيقة التدبر لمعانيه، هو أن نستثمره في تحقيق تلك

الرؤية الكلية المفاهيمية التي تحصل من وراء جمع النصوص والمصطلحات للمواضيع التي نبحث فيها. لأن الغاية ليست هي الجمع لأنها ضمن المنهج ولا يحق تجاوزها ولا إهمالها، بل المقصود هو تحقيق النظر الكلي لأن التفسير الموضوعي يتجاوز الاستقراء للنصوص دون بناء الفهم الكلي والمتكامل للمسألة والقضية التي نبحث فيها.

وهذا هو أهم ما وقفت عليه من خلال البحث في هذا المنهج التفسيري ، الذي لا يقطع الصلة مع بقية المناهج البحثية التفسيرية الأخرى ، كالتحليلي والمقارن والإجمالي، كما يتوهمه البعض. ما يحدث اليوم من فهم قاصر لمنظومة الفهم في القرآن الكريم التي نسميها وحدة الفهم للنصوص، هو الذي أحدث تباينا في مفهوم الخطاب القرآني لقضايا الأمة الحضارية والفكرية ، لأن فكر الاجتزاء قد لا يكون في النصوص فقط، وإنما من جهة الفهم كذلك، لأنك إذا أهملت مفهومها ومعنى لنص قرآني أثر سلبا على تلك النظرة والرؤية الشاملة التي لا تكتمل صورتها الحقيقة إلا بها. فالتجديد هنا له زوايا عديدة قد يكون في الوسائل كإعادة النظر في طريقة البحث في هذا المنهج المتبعة، لكن هذا لا نقصده هنا بل نقصد التجديد في المقاصد، والفهم مقصد من المقاصد وفق تلك الرؤية المتكاملة لمنظومة الفهم في الخطاب القرآني، فالتجديد هنا أن نعيد تجديد الصلة بهذا الفقه في الخطاب ، وفقه البحث في هذه المناهج ، التي تبين مراد الله تعالى من المكلفين .

أولا: هل نحن بحاجة إلى تجديد الخطاب القرآني وفق التفسير الموضوعي

الإجابة عن هذا السؤال يقتضي النظر في الواقع المعاصر، ثم النصوص القرآنية، وما كان عليه سلف الأمة عموما من فهم لهذه النصوص، إن تحديد المشكلة الحقيقة التي تنزل بفكر الأمة اليوم هو عدم التفريق بين الكليات والجزئيات، وبين ما يصلح حكما للأمة وما يحكم الأفراد من أحكام عقدية وفقهية تشريعية، إن الرجوع إلى حقيقة الفهم الذي أراده الله يكون بالنظر فيما بينه النبي صلى الله عليه وسلم عموما من القرآن أو السنة ثم ما غرسه النبي في أصحابه من طريقة لفهم هذه النصوص ولو كانت في كبار الصحابة الذي شهد لهم بالفضل والعلم، ثم تواصل هذا الفهم مسلسلا في سلف الأمة.

إذن نحن بحاجة إلى تجديد الخطاب من جهة أننا نريد رد الجزئي للكلي، وعدم التعدي على القطعي الثابت، والتفريق بين الفروع والأصول، وبين ما يكون فيه التجديد وما لا يقبل التجديد لأنه

يعتبر حاكما على ما دونه، فالمحكم مثلا أصل راسخ، لا يمكن التعدي عليه بحجة التجديد، سواء في التفسير أو في التأويل أو في غير التفسير من العلوم الشرعية.

وفرق بين من يفهم التجديد الذي هو النظر المتجدد فيما تنتجه الآيات من معاني عبر العصور إلى قيام الساعة عملا بقوله تعالى: ﴿كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكًا لِيَذَّبَرُواْ ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُواْ الْأَلْبَابِ﴾ ٢٩.

ولكن يستحضر معها قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3].

فالأمر بالتدبر لا ينافي إكمال الدين وتمامه في كلياته ، عملا بالقاعدة الأصولية " ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"، ولكن لا يتجاوزه كذلك من جهة، لأن المعلوم أن أحسن الناس فهما وعلماء وأكملهم السابقون من السلف، ولا نقصد الحجر على الناس في الفهم والتجديد، ولكن أقصد سد باب الذرائع أمام البعض حفظا لثوابت الدين كما قال مالك فيما رواه عن ابن الماجشون «قَالَ ابْنُ الْمَاجِشُونِ: سَمِعْتُ مَالِكًا يَقُولُ: "مَنْ ابْتَدَعَ فِي الْإِسْلَامِ بِدْعَةً يَرَاهَا حَسَنَةً، زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَانَ الرِّسَالَةَ، لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ} [المائدة: 3]، فَمَا لَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ دِينًا، فَلَا يَكُونُ الْيَوْمَ دِينًا. « (الشاطبي 1992، 64).

إذن لما كان الواقع متجددا من جهة ما يطرحه من قضايا فكرية، واجتماعية تحتاج العودة إلى مستمسك الأمة وهو كتاب الله الذي يعصم الأمة من التفرق ويجمعها على كلمة واحدة، ويرجع له حال التنازع، فهنا يكون تجديد الفهم في بعض القضايا ضرورة، لأن الله فتح باب التدبر أمام المؤهلين شرعا، وهم العلماء، ونحن نعلم أن قضايا الأفراد ليست كقضايا الأمة، لا سيما وأن العالم أصبح مترابطا في الفكر، لغزو التكنولوجيا، ومعنى ذلك أن نعيد ربط الأمة بفهم صحيح يمر بفهم السلف ولا يتجاوز الواقع اليوم، بل يجد الحلول المناسبة له، وهذه الحلول تكون في تلك الكليات من المعاني، التي أكملها الشرع في التشريع والعقيدة والأخلاق، فهي لا تتغير بتغير الزمان ولا تتأثر به، فكون التجديد هنا إحياء الصلة بها، لأن القصور في الفهم والربط راجع للناظر والمتدبر لكلام الله تعالى.

وقضايا التجديد كثيرة فقد يكون من جهة الفهم والاستنباط، وقد يكون من جهة حسن التنزيل وغيرها، وكلها تحقق قاعدة أن القرآن الكريم معجز تتحقق هداياته وصلاحيته لإيجاد الحلول للأمة

مهما تغير الزمان وتباعد المكان، وسنشير إلى بعض الآليات التي تساعد على تجديد الخطاب القرآني من زاوية البحث في التفسير الموضوعي.

ثانيا: آليات بناء الفهم المتكامل في القرآن الكريم

أولا: الانتقال من جمع الآيات وتفسيرها إلى تحقيق الرؤية الشاملة للمفهوم الكلي في القرآن والمقصود أن جمع النصوص المتعلقة بالموضوع الذي يبحثه الباحث وفق منهج التفسير الموضوعي، ل يكتفى بالاستقراء للنصوص جمعا فقط، وإنما يتجاوز إلى تحقيق التصور وفق ما قرره القرآن الكريم من خلال تلك النصوص، والتدبر المأمور به في القرآن الكريم ليس هو الوقوف مع النص الواحد والدليل الواحد مستقلا، بل الأدلة المتضافرة هي التي تعطي أحكاما قطعية في الغالب، وهو منهج معروف عند الأصوليين في تعبيدهم، وكذلك في التدبر في النصوص مع بعضها البعض وربطها مع بعضها البعض، ووحدة الموضوع في القرآن الكريم لا يعني النظر إلى الموضوع بعينه مستقلا، وإنما مراتب النظر متفاوتة فقد يتجاوز النظر إلى حدود منظومة الكليات، وهكذا النبي صلى الله عليه وسلم كان يرشد الصحابة، فلما أشكل عليهم قوله تعالى: «لَمَّا نَزَلَتْ: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ} شَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَئِنَّا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ قَالَ: (لَيْسَ ذَلِكَ، إِنَّمَا هُوَ الشِّرْكُ، أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ: {يَا بُنَيَّ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} (البخاري 1993، 1262)

فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم النظر في المعاني والالفاظ الأخرى مجموعة، فلو لم يسألوا لبقى المعنى عاما، لكن خصصه النبي بالشرك استدلالا بلفظ آخر. فكان بناء التصور لمعاني الألفاظ في نظري لا يقتصر على لفظ واحد أحيانا كما فهمت من سبب النزول.

ولو أخذنا موضوع الإصلاح مثلا وجمعنا النصوص القرآنية المتعلقة به ، ولم نفرق بين الكلي والجزئي والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومثلا لا نستصحب موضوع الاستخلاف يكون الفهم غير مكتمل الصورة، وهكذا.

ومن تدبر أحوال العلماء قديما وجد هذا النظر الكلي حاضرا في أذهانهم، ولذا قال الشاطبي: «إِذَا مُحَالٌ أَنْ تَكُونَ الْجُزْئِيَّاتُ مُسْتَغْنِيَةً عَنْ كَلِّيَّاتِهَا، فَمَنْ أَخَذَ بِنَصِّ مَثَلًا فِي جُزْئِيٍّ مُعْرِضًا عَنْ كَلِّيِّهِ؛ فَقَدْ أَخْطَأَ. وَكَمَا أَنَّ مَنْ أَخَذَ بِالْجُزْئِيٍّ مُعْرِضًا عَنْ كَلِّيِّهِ؛ فَهُوَ مُخْطِئٌ، كَذَلِكَ مَنْ أَخَذَ بِالْكَلِّيِّ مُعْرِضًا

عَنْ جُزْئِيَّهِ. وَبَيَّانُ ذَلِكَ أَنَّ تَلَقِّيَ الْعِلْمِ بِالْكُلِّيِّ إِنَّمَا هُوَ مِنْ عَرْضِ الْجُزْئِيَّاتِ» (الشاطبي، الموافقات 1997، 174)

نستطيع القول بأن هذا يصدق كذلك على ما نقصده وهو كلي المفهوم، لأن الشاطبي كان ينظر في كليات أدلة النصوص، لكن ما نقصده يصب في هذا المقصد.

ثالثا: ربط المعاني الجزئية بالمقاصد القرآنية الكبرى:

وهذا يحقق لنا الرؤية الكلية في القرآن الكريم، ويجدد الخطاب القرآني في عصرنا، لأن الاجتزاء للمفهوم قد يكون بتعطيل النظر الكلي في المقاصد والكليات الكبرى في القرآن الكريم، ولذا هذا المعنى يقرب مما ذكرناه سابقا فيما أشار إليه الشاطبي، لكن أنا أقصد هنا تلك المقاصد التي تهدي وتضبط المفسر والمتدبر للقرآن الكريم في توجيه المعاني وفقها ولخدمتها، فهي غايات كلية في القرآن لا يحق تعديها، وهذا أشار إليه المفسرون ممن اعتنوا بهذه الكليات قال ابن عاشور «أَلَيْسَ قَدْ وَجَبَ عَلَى الْاِخْذِ فِي هَذَا الْقَفِّ أَنْ يَعْلَمَ الْمُقَاصِدَ الْأَصْلِيَّةَ الَّتِي جَاءَ الْقُرْآنُ لِتَبْيَانِهَا» (عاشور، التحرير والتنوير 1984، 39)

ثم إن كثيرا من يعتقد أن القرآن الكريم هو تشريع للأحكام فقط، فلا يرى إلا الأوامر والنواهي والحلال والحرام، ونقصد الأحكام التكليفية، أو يغفل عن ذلك، وهو يبحث ويتدبر في القرآن الكريم، والحق أن القرآن يسعى لتحقيق مقاصده وغاياته الكبرى حتى من وراء تلك الأوامر والنواهي التشريعية، فلما نقول الاستخلاف والإصلاح والعدل فهذه المقاصد الكبرى تتخذ من الأوامر والنواهي سبيلا لتحقيقها في ذاتها، فالأمر والنهي يؤول إلى الإصلاح، والإصلاح الغرض منه تحقيق مقصد الاستخلاف القائم على قاعدة جلب المصالح ودفع المفاسد، لأن الله يقول ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: 85].

فنقول هذه الرؤية الكلية للمقاصد والسنن والمعاني، تسد الطريق أمام الفهم القاصر الذي يولد أزمات في الفكر، ومنهج البحث، مما يترتب عليه إصدار أحكام قد تكون غير مناسبة لما تسعى الشريعة لتحقيقه لصالح العباد. وعليه فاستعادة تلك الرؤية الشاملة في القرآن الكريم وفق مقاصده تعتبر آلية يتخذها التفسير الموضوعي للتجديد في الفهم، وتجديد الصلة بالخطاب القرآني

الصحيح لأن كثيرا منهم قد أساء الفهم للخطاب القرآني لافتقاده مؤهلات النظر والاستنباط، فيصدر أحكاما أو مفاهيم خاطئة يظنها البعض أنها هي المقصودة والحق عكس ذلك.

رابعا: أثر الفهم المتكامل في تجديد الخطاب القرآني

وبعد ذكرنا لآليات تحقيق الفهم المتكامل في القرآن وفق ما نراه من منهج يتخذه التفسير الموضوعي لتحقيق ذلك، نريد بيان أثر هذه النظرة الكلية في تجديد الخطاب القرآني، وقد بينا سابقا أن التجديد لا يكون للثوابت القطعية، وهي الأصول بل يكون في وسائل البيان والفهم، حتى لا يوهم مصطلح التجديد أننا نسعى لتجاوز ما لا ينبغي تجاوزه.

وسنقتصر على أهم ما نراه يحقق الأثر مما يكون مقصدا كليا هو كذلك ومنها:

1: إظهار وحدة القرآن وترابطه:

إن الانطلاق من الرؤية الشاملة للمفهوم في القرآن الكريم يبرز أن النصوص القرآنية تكمل بعضها بعضا، وهو يشبه تلك الوحدة الموضوعية التي أشار لها علماء علوم القرآن الكريم مما يكشفه النظم وعلم المناسبة من ترابط للكلمات والآيات وهنا نقول ترابط للمفاهيم والمعاني.

ثم إن تلك النظرة تدفع وهم حصول التناقض في القرآن الكريم بين نصوصه، وهو ما يسمى أحيانا بالمشكل، فالوسيلة التي نراها من خلال التفسير الموضوعي تجدد الفهم الصحيح وتدفع هذه الدعوى أمام القائلين بها هو تحقيق هذا الفهم المتكامل من خلال النصوص، لأن الجزئيات والاجتزاء للنصوص لا يدفع هذا الوهم أحيانا عند من ضعفت آليات الفهم عنده، وإذا كان هذا البناء للفهم مكتمل البنيان يصدق عليه قوله تعالى: ﴿الرَّ كِتَبٌ أَحْكَمَتْ ءَايَتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: 1] .

2: تحقيق أثر وثمرات الخطاب القرآني في الواقع:

وهذه من أهم ما نسعى له من وراء البحوث القرآنية سواء ما تعلق بقضايا المجتمع أو الأمة ، فتجديد الخطاب لا يكون بالتنظير فقط، وإنما تحقيق ثمرته في واقع المخاطبين، والإنسان يدعن للخطاب القرآني متى ما لمس فيه أثرا على قلبه وجوارحه، ولا يحقق هذا إلا عن طريق تضافر النصوص وتكاملها في تحقيق المفهوم الكلي، ولذلك قلنا في البداية نخرج من جمع النصوص عن طريق الاستقراء إلى تقعيد المفاهيم القرآنية الحاكمة في الفهم، ونستطيع أن نجعلها ضمن أصول

التفسير، وقواعد التدبر والفهم عن الله تعالى، لأن حفظ العقول مقصد من مقاصد الشريعة، وحفظ طرق الفهم هو ضمن هذه الوسائل التي تحقق ذلك، فوجب أن نراعي هذا التوازن بين منهج أمثل في البحث في التفسير الموضوعي وتحقيق أهدافه ومن عرف طرق البحث في هذا المنهج علم أن مرحلة تنزيل المفاهيم على الواقع هي أهم ثمرة تحقق.

الخاتمة:

أولاً: تجديد الخطاب القرآني وفق التفسير الموضوعي لا يكون بتغيير النص أو إعادة تفسيره بل بتجديد المفهوم وفق الرؤية الكاملة للنصوص المشتركة.
ثانياً: النظرة التجزئية للنصوص القرآنية سبب لضعف الخطاب القرآني في الواقع، لأنه يؤدي إلى الفصل بين النص والمقصد وفق رؤية كلية في القرآن.
ثالثاً: التفسير الموضوعي أحد الحلول المنهجية في تقديم حلول للامة اليوم، من غير إخلال الثوابت والقطعيات

المراجع

القرآن الكريم برواية حفص

1. ابن رسلان. شرح سنن أبي داود. 1. المجلد 17. الفيوم: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، 2016.
2. ابن عاشور. التحرير والتنوير. المجلد 1. الدار التونسية للنشر، 1984.
3. —. تحقيقات وأنظار في القرآن والسنة. تونس، مصر: دار سحنون للنشر والتوزيع دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 2008.
4. أبو داود. السنن. 1. المجلد 6. دار الرسالة العالمية، 2009.

5. البخاري. الصحيح. 5. المجلد 3. دمشق، 1993.
6. الشاطبي. الاعتصام. 1. المجلد 1. السعودية: دار ابن عفان،، 1992.
7. —. الموافقات. 1. المجلد 3. دار ابن عفان، 1997.
8. زين الدين الرازي. مختار الصحاح. المجلد 5. بيروت: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، 1999.
9. فضل حسن عباس. التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث. المجلد 1. الاردن: دار النفائس للنشر والتوزيع، 2016.
10. مصطفى مسلم. مباحث في التفسير الموضوعي. 4. دار القلم، 2005.